صندوق المرايا

شريف مصطفى

الكتاب : صندوق المرايا (قصص قصيرة)

المؤلف : شريف مصطفى

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٨

رقم الإيداع : ٢٠١٨ / ٥٩٧٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 301 - 1

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

الغلاف : أسماء عوض عبد العظيم



صندوق المرايا

قصص قصيرة

شريف مصطفى

إلى من علَّموني كيف أمتطي صهوة الحرف وأعدو عبر مدى الكلمات

إلى نادي الأدب بمغاغة ، وأساتذتي الذين تتلمذتُ على أياديهم :

أ. سمير رستم

د. إبراهيم محمد علي

أ. محمد الناجي (رحمه الله)

أ. علاء عبد الله

أ. عبد المنعم البنا

كُنتم وما زلتم وهجًا أسيرُ في نوره.

شريف

مُفتتح

غريبًا وقفت
فلا آنستك الحروف...
وأفئدةُ الطير أوتْ إليك
غريبٌ يعشوشب العري فيك...
ولا ترتديه الخصوبة
أعلنتَ للكون...
أن المشيب سواد
متى هجرته النسائم أو عاندته الفصول
أعلنتَ للناس موت الحياة
سلامٌ عليك
على أطلالك النائحات
على معبر الأمنيات
وجسر التمني على من نفاه التغني
تهزهز كل الفضاء
أَكُفّ حنين السنابل
شوق الحقول... اصفرار الفصول
لإشراقةٍ من هديل
فترتجعُ الأمنيات ضبابا
ولا تهطل الطير في ذكريات الغريب
غريب يغرغر في منتهاه
ويحلم أن يستعيد صباه
على قرقعات هطول الحمام
ورغم المشيب
وهول المغيب
مازال يهفو
لإشراقةٍ من هديل

من قصيدة : ذكرى شروق
للأستاذ محمد الناجي رحمه الله -

رائحة القاهرة

تملأ صدري رائحةُ النيل بكل تفاصيلها الصغيرة... تعانق عيناي لألآتُ مصابيح النيون الساكنة جوانبه حين تغادر الشمسُ السماء... تراودني أصداءُ ضحكاتِ الأصدقاء حين كان يجمعنا الليل بسهرات المقهى وأكواب الشاي بالنعناع الساخنة... يراودني حضن أمي وهي تودِّعني ، وبلورات الدموع تنساب في خجل على وجوه إخوتي... تسكن رائحة القاهرة ثنايا جسدي المحبوس داخل الطائرة ، تقتل فراغات خوفي من الشاطئ الآخر...

حين وطأت قدمي مطار دبي ؛ انزلقتُ داخل أنبوبٍ مبهر ، تسكنني الدهشة ، ويمنحني النظام القدرة على وشوشة الصمت... خلف جدران حجرة زجاجية أطالع أضواء دبي المبهرة تلهو بروعة الصخب وجمال ليلها الكريستالي ، أشعر برغبة في أن أعبِّئ صدري بهواء نقي ، أفتِّش عن فتحة أو نافذة في الجدران الزجاجية ؛ يصدمني صمتها...

أغمضتُ عيني... أشعر بدفء أمي حين حاضنتني قبل الرحيل ، ورائحة القاهرة تتسرب من كل مكان حولي... تنسمتُ... تبسمتُ.

أبريل ٢٠١٤



مِلحُ العشق

في لحظةٍ من سكون المساء وانتباهة السحاب لمغازلات الريح ، ومحاولات القمر زحزحة هدوء الموج ليتخطى بوابة الهمس إلى صخب الوشوشة لرمال الشاطئ السكندري الممتد... كَفُ الشتاء تلامس موجودات الليل...

يجلس على المقهى الملاصق للبحر... يقلِّب بين كفيه أوراقًا قديمة... يمسك ورقة يقرأ :

(دماؤك حبيبي تسكن وجعي ، وفراقك مجبورٌ ببقايا العشق... يا سارحًا بين أوردتي لتفتن خلاياي بمجهول الصمت ، وتسافر بعيونك عبر مدارات النور الساكن ما بين السماء والبحر... هل سيأتي ذاك اليوم ؟... مرهونةٌ معك ما بين الحلم والخوف... لكن سأبقى بين مدن المِلح أسبح وأقاوم غضبة البحر وأتخطى عتبة الشاطئ كي أحيا في ذاكرتك يا سجين أوردتي ، مات السكون بين كفيه).

تبلورت في جفنيه دمعتان ، لمعتا على بوابة عينيه... أمسك بالورقة الثانية وقرأ :

(دماؤك حبيبتي تسكنني ، ترسمني ما بين الليل والفجر بقايا إنسان...ما بات الكلام يصالحني ، خانتني الحروف ، فأهدرتُ الحبر مئات المرات على أوراق مزَّقتُها ، وألقيتها قرابين للبحر الممتد بيني وبينك حالمًا بأن يشعر بوجعي فيرسم في صفحته الطريق إليكِ ، لنعاود التحليق ، ونَهُشُّ السحاب من على وجه القمر ونلثم من بريق ضوئه بسمات البقاء).

طالع ظلمة السماء القمرية الممتدة بأفق البحر... يُطبق على أوراقه بكفيه...

سار إلى البحر ليوغل فيه... نهض أحدهم يناديه خوفًا... التفت إليه النادل وهو ممسك بصينيته الفارغة قائلاً :

- لا تخف ، سوف يعود.

وهو يغوص ، لمح بقعة ضوء تنمو تحت الماء تتشكَّل... تبسَّم... والتمع بعينيه بريق لقاء.

يونيو ٢٠١٥

العائد

الشمس تخضُّب السماء بحُمرتها الغسقية فى لحظة الرحيل. شقشقات العصافير العائدة إلى أغصانها بعد نهار منهك تملأ فراغات الريح المارة بين أغصان الأشجار ، فتلامس فى هبوطها عيدان القمح الممتدة كبساط لوَّنته ألوانُ الحصاد على الأرض ، فتتمايل فى رقصة غروب... جالسًا ينتظرها عند سور الكوبري القديم حيث كانا يتلاقيان ، يغسل عينيه بشريط الماء المنساب بلا توقف ، تسكنه ذكرياتهما القديمة. تتقدَّم ناحيته ، يلمح عينيها تحيطها بعض كرمشات الأربعينيات من العمر... تحاول أن تكبح جماح توترها المتشوق منذ أن هاتفها بالأمس... نادته بصوتٍ مرتعش :

- أحمد...

أشمَّ رائحتها القديمة ، هل ما زالت كما هي أم تراها رحيقٌ تسلل من الذاكرة إليه ؟...

استدار متناسيًا آلام رقبته التي ألمَّت به منذ زمنٍ بعيد...

عندما عانق عينيها ، تسمَّرت الحروف فى حلقه ، وارتعشت شفتاه... عاجلته بعينٍ مندهشة:

- ما الذى جاء بك مرة ثانية يا أحمد ؟
- ما زلتِ ليلى كما كنتِ.
- ما زلتُ ؟... أنا لم أتغير... ألم تنسَ وجهي وسط زحمة وجوه القاهرة ؟
- كنتُ أراه فى وجوه الجميع... قلبُكِ يا ليلاي يسكن جنبات قلبي... عيناكِ تسكنني ، لم تبارحني لحظة منذ رحيلي ، أرى فيها كل الحكايات ، وأنتظر هذه اللحظة التي كنت أخاف ألا تأتي ، كنتُ أخشى أن أظلَّ واقفًا على عتبة صمتي... جئتُكِ اليوم أضع بين كفيكِ

بعضًا من دمعاتي التى ذرفتُها كثيرًا بعد رحيلي لعلَّها تغتسل بين كفيكِ ، فيكفُّ ألمي عن النبض والندم على تلك اللحظات التي ضعفتُ فيها وتركتُكِ راحلاً ولم أستطع أن أقاوم من أجلك.

- مازلتَ تذكر ؟!
- لم أنسَ ، فهل نسيتِ أنتِ ؟

أشاحت بوجهها إلى قرص الشمس المختبئ خلف حدود القمح ، تغالب دمعاتها قائلة:

- هل ينفع الاعتذار بعد كل هذه السنوات ؟... الألم طحنته الأيام وانطوى ، واليوم تأتي لتعيد فتح جراح اندملت منذ زمن بعيد ، عُدْ من حيث أتيتَ فالليل قارب على افتراش السماء والطريق غير آمن عليك بالليل.

لم تنتظر أن يردَّ عليها... استدارت إلى حيث جاءت... تسمَّر مكانه... العصافير استكانت ، والشمس انطوت بين حدي الليل...

ظلَّ واقفًا ينتظر سيارةً تحمله إلى المدينة... وفى قلبه سطوة آلاف الأسئلة.

ديسمبر ٢٠٠٣



صندوق المرايا

وجعٌ ما يتسرب إلى قلبي ، أشعر معه بحالة من الخمول وعدم الرغبة في أن أفتح عيني. أعود وأحاول أن أفتحهما ، فهو يومٌ جديد بهمومِ عملٍ متواصل لا ينتهي... لكن جفنيَّ ملتصقان... مازلتُ في محاولة فتحهما حتى نجحت... ضبابٌ يلفُّني سرعان ما بدأ في الزوال... رويدًا أشعر أن هناك بريق نقط لامعة تحيطني... علَّها بقايا دمعات العين الصباحية تحتضن الضوء المتسرب من النافذة...

حين وضحتْ رؤيتي ؛ فزعت... تلفتُ حولي... هل ما زلتُ نائمًا وأعيش كابوسًا ما ؟!... هززت رأسي بشدة علِّي أخرج من هذا الكابوس... أغمضت عيني بشدة وفتحتهما... وجدتُني وكأني محبوس في صندوق من المرايا ؛ الجدران الأربعة والسقف والأرض كلها مرايا تعكس آلاف الصور لي على فراشي ، تتداخل حركاتي في آلاف الانعكاسات على المرايا وكأني في فضاء بلا انتهاء.

نهضتُ وأنا أتحسَّس الأرض خوفًا علَّها تنكسر تحت ثقل جسدى المنتفض ، أتحسَّس المرايا أبحث عن الباب... دققتُ على المرايا بحذر... يأتي صدى الصوت له رنَّة فراغ يحيط بالجدران... صرخت... أنا والفراش والمرايا ودفتري ملقيٌّ على فراشي... هو حتمًا كابوسٌ سأخرج منه... أهزُّ رأسي بعنف محاولاً الهروب من الكابوس... تصطدم بالمرآة... ثمة خيط دم ينساب على خدي الأيمن... شعرت بخدر يتسرب لجسدي... أرجوكم أريد الخروج..........

كانت تلك كلماته الأخيرة التي وجدوها مكتوبة بدفتره المُلقى بجوار جسده الممدَّد على أرض غرفته ، غارقًا في دمائه المتجمدة.

يوليو ٢٠١٧

الصفحة الأخيرة من مذكرات رجل على الهامش

عندما غاب عن الجيران بابتسامته التي تعودوا أن يروها مرتسمة على وجهه صباحًا ومساءً رغم وحدته التي يحيا فيها منذ أن جاءهم من سنينٍ طويلة ، إلا أنهم تعودوا منه على تلك الابتسامة التي لم تفارقه حتى حين يطرق بابه الأطفال عابثين ، فيفتح الباب وهم يهرولون وتعلو وجهه ابتسامة مرح وكأنه طفل منهم ، وأحيانًا كان يختبئ خلف الباب حتى يرنوا الجرس فيفتح الباب مسرعًا ولا يستطيع أحدهم الإفلات ، فيمسك به مبتسمًا ويداعبه مقهقهًا عاليًا حتى ترنَّ ضحكته وهو يدغدغ الطفل ، وتختلط أصواتهما معًا حتى لا يستطيع أحد أن يفرق بين الضحكتين...

كثيرًا ما احتاروا في تلك الابتسامة الدائمة ، وكان رجال الشارع يحسدونه على وحدته السعيدة ، فكم كانوا يتمنون يومًا أن يعيشوا بلا زوجات ومسئوليات وأطفال وصُداع مطالبهم التي لا تنتهي ، وكانت نساء الشارع يتمنينَّ أن يكون أزواجهن في مرحه الخجول وابتسامته عند تحيته للجميع وقطع الشيكولاتة التي يحتفظ بها في جيبه يمنحها كل طفل في الشارع حين يغدو وحين يروح... وكان خجله يمنعه كثيرًا من تبادل الزيارات مع الجميع ، فكان من النادر أن يزوره أحد من أهل الشارع ، فحدود علاقته بهم كانت على هامش الابتسامة الخجولة التي يوزعها على الجميع ، إلا أنه كان دومًا مع الجميع في كل آلامهم وأفراحهم ، فكان أول المواسين في أي ألمٍ يلمُّ بأحدهم ، وأول المهنئين لمن طافت على بيتهم أطياف الفرحة بأي أشكالها... كان إن طرق بابه أحدهم في أى وقت من الليل أو النهار يستجديه عونًا ؛ ما كان يفتح الباب إلا وفي عينيه ابتسامته ، وكانوا يشعرون بتلك السعادة التي تقفز من عينيه حين يقدِّم لأحدهم العون في أى شيء يطلبه منه زواره الأغراب ، لم يكونوا كثيرين ؛ لكنهم كانوا مألوفي الوجوه للجميع ، لكثرة ترددهم عليه وخروجه معهم.

لم يعرفوا عنه إلا اسمه وعمله ، ودومًا تتصاعد من شقته رائحة الياسمين الذي زرعه في شرفته ، يرويه وهو يستمع إلى أغاني أم كلثوم ومع احتسائه فنجال القهوة المسائي حتى في ليالي الشتاء الباردة ، وأحيانًا يتصاعد مع أبخرة القهوة صوت عبد الحليم ، وأحيانًا يستمعون إلى صوته يُلقي شِعرًا.

ظلَّ أعوامًا طويلة بينهم لا يتعدوا حدود مملكته ، ولكن تعودوا على وجوده ، وأصبح لهم كالشمس لا يصلح اليوم إلا بشروقها... حتى جاء اليوم فلم يشرق كعادته... تعجبوا من غيابه... عندما سألوا البواب ؛ أخبرهم أنه لم يره يخرج اليوم...

ومرَّ اليوم وكأن هناك شيئًا غريبًا حدث في العمارة ، بات الجميع مهمومين بغيابه... وفي اليوم التالي لم يظهر ، زادت تلك الحيرة الغريبة ، قرَّروا أن يطرقوا الباب ، فلم يفتح... انتقل الخوف إلى قلوبهم وتزايدت التساؤلات... أبلغوا الشرطة باختفائه ، خشوا أن يكون حدث له مكروه ، فقررَّت الشرطة كسر الباب... وعندما دخلوا وخلفهم رجال العمارة ، والنساء يفتحنَّ أبواب الشقق ينتظرنَّ أخباره ؛ وجدوه جالسًا وراء مكتبه في صالة الشقة قد فارق الحياة ، أمامه فنجال القهوة مملوء حتى المنتصف ودفتر مكتوب فيه ليلة رقم ٥٤٠٠ على الفراق :

(تمضي بي الأيام حزينة لأنك لا ترَّصعين مساءها بابتسامتك ولمعان عينيك حبيبتي... اليوم يا حبيبتي ذهبتُ إلى عملي صباحًا ككل يوم ، لكن لا أدري ؛ أشعر بألم في صدري ، عمومًا سوف أذهب إلى الطبيب غدًا إن شاء الله ، لا تقلقي يا حبيبتي........).

كان الدفتر مكتوبًا على غلافه : (مذكرات رجل على الهامش).

في تلك الليلة أمطرت السماء كما لم تمطر من قبل.

ديسمبر ٢٠١٤

الذاهب لبلاد الصمت

دقَّاتُ ألمٍ تدقُّ جدران رأسي فتخطفني من نومي... أستجدي صمتها بقرصين من المسكنات... سكون الليل يرفع من شعوري بتلك الدقات المتسارعة ، تتواتر على عقلي مئات الأحداث والصور... أتابع دوائر الدخان المتصاعد من برَّاد الشاي فوق الموقد المتسخ ببقايا محاولاتي البائسة لصنع الطعام ونثرات الشاي والقهوة المتحجرة ، تتصاعد لأنفي رائحة النعناع من خيوط البخار مع وشوشة الماء المصبوب... تتكون صور من حياتي : أبي ، أمي ، إخوتي ، أصدقائي ، ووجوهٌ عابرة مرَّت بحياتي تتشكَّل بدوائر البخار وكأنهم يتباسمون لي... تتزاحم التباسمات ، أحلام سافرت إلى الموت ، وآمال ما زالت تحلِّق في حدود الممكن محاولة التحرر من أصفاد الانتظار ، آلام حُبٍّ قديم في تراتيب روتينية لقصة الممكن والواقع ، وغلاف الحلم الشفقي الذي تمزِّقه شمس النهار...

لفَّني صوتُ مواء قطة خفيض يتسرب من وراء باب الشقة ، وكأنها تستجدي الاستكانة... تجاهلتُ صوتها الذي عاد واخترقني ، وشعرتُ بها وكأنها تنظرني من خلف الباب وتنادي تستجديني شيئًا ما وكأنها تخترق عقلي وتزرع بعيني عينيها المستجديتين والمتسعتين في نظرة ضعف... اتجهتُ إلى الباب يدفعني إحساسٌ غريب من الرغبة وكأنني أُلبّي نداءً ما... عندما اتسع خيط الضوء المتسلل ما بين الجدار والباب ليفترش ردهتي المظلمة فانعكستْ ظلال جسدي على الحائط ؛ تقف أمام الباب تموء بصوتٍ خفيض وتطلُّ من عينيها نظرة شوق ، حينها شعرت وكأني أغرق في غفوة ثم أُعيد الانتباهة لأجدني في الصالة وهي واقفة في منتصف المكان... رعشة خوف تتملكني ، فاستعذتُ بالله... وقبل أن تجلو ضبابية إدراكي ؛ اتسعت بقعة ضوء بيضاء قادمة من زاوية الغرفة ، اقتربت منها ، ثم اتسعت فصارت غمامة يتوهج نور بداخلها فابتلعتها وظلَّت تنمو وشيء ما ينمو بجوفها ، ورويدًا انقشعت تلك الغمامة

النورانية البيضاء ، وأنا مصابٌ بشلل الاندهاش... حينها رأيت أمامي فتاة تتجسد ، تواترت متسارعة كل حكايا الجِنِّ التي كنا نتحاكاها في أيام طفولتنا ، ولم أفق إلا وأنا أقول بصوتٍ مرتعش يحاول الصمود :

- أنا لم أؤذيكِ فلا تؤذيني.
- جئتُك لألملم أشلاءك وتعود معي.

حين تكلمتْ ؛ انساب صوتها رخيمًا ، فالتبستني سكينة وكأن خدرًا سار بين كل خلايا جسدي... بدأتُ أتلمَّس ملامحها ببشرتها السمراء الصافية ولباس يشبه تلك الملابس الفرعونية القديمة وكأنها قادمة من على جدار معبد فرعوني... ووجدتُ فيْ قدرة واهنة على الكلام فقلتُ :

- أشلاء من ؟
- أشلاؤك أنت حبيبي

رعشتني كلمة "حبيبي" بشحنة عشقٍ مجهولة :

- من أنت ِ ؟
- أنا حبيبتك التي اختطفوك مني ومزَّقوك ، كنتَ أنت الكون حين كنتُ أراقصك عند ضفاف النيل وهو يغنِّي لنا أغنية الخلود.

تزاحمتْ الأفكار وخالطتها سطوة الاندهاش ، وعقلي يلحُّ في السؤال : هل أحلم ؟ هل يجب أن أفيق ؟

تقدَّمتْ في انسيابية الطير ناحيتي وأدنتْ وجهها من وجهي ، فاشتممتُ رائحة لم أعرفها ، لكنها كانت جميلة... صارت عيناها أمام عيني...

- حبيبي ، أنصت معي ، إنه ينادينا ، قال لي : لملميه واجمعي أشلاءه من بطون التماسيح التي مزَّقته ، واحمليه لي لأعيد له الحياة.
- عن أي حياة تتكلمين ؟
- ملامحك مزقتها نهشات التماسيح التي تملأ طرقات طيبة.
- يا سيدتي ، أنا لم أركِ من قبل.

- مزقوا اسمي في قلبك حبيبي فما عدت تذكرني ، نهشوا أحلامنا فما عدت ترسمها على جدران معبدنا ، قصفوا جناح وليدنا فما عاد يحلِّق... أنصت حبيبي ، إنه ينادينا.
- لا أسمع شيئًا.
- حين ألملمك حبيبي ستسمع تراتيل النيل حين كان يقبِّل ضفافه السمراء ويسري بين عيدان القمح لتزهر سنابله. حين ألملمك حبيبي ستنصت ويزول عنك نسيانك الملعون... أنصت حبيبي لنداء قلبك ، أنصت.

مدَّت أناملها نحوي ، فتراجعتُ بوجهي للخلف وجلاً ، ولكن ابتسامتها كانت كميثاق أمان ، فشعرتُ بأناملها دافئة تتلمس وجهي... أغمضتُ عيني وتلبستني نشوة مغايرة ، وصوتها يلمس روحي مردِّدًا في صدى بعيد:

(حبيبي... سيدي... أيها الذاهبُ لبلاد الصمت
عُدْ لي كما كنت في الماضي
تعالَ في سلام
تعالَ لبيتك أيها اليانع ،
فأنا لا أراك أيها اليافع الجميل ،
أبحثُ عنك لأراك
أيها الكائن الجميل ،
أنت يا من أحببتَ الضوء
لا تذهب في الظلام !
أنت يا من أحببتَ صخب ونزق الحياة
لا تذهب للعزلة !) *

---

* هذا المقطع منقول من نص أسطورة إيزيس الأصلي.

أغوص في نورٍ ضبابي أبيض...

فجأة تعالت أصوات أبواق السيارات... انتفضتُ مستيقظًا بفزع لأجدني واقفًا مكاني وحيدًا ، وضوء الشمس متسلل من النافذة المفتوحة ، وتتعالى همهمات الناس ونداءات البائعين وأبواب المحلات بصريرها المفزوع حين تفتح... تلفتُ حولي ، صامتًا ساكنًا ، أشعر بلمسة أناملها ما زالت تمنح قلبي سكينة الانتظار.

يونيو ٢٠١٤



أضواء البحر

الإسكندرية...

رائحة الشتاء الدافئ تراودني وأنا أجلس في شرفة الفندق المطل على الكورنيش ، أتابع الموج يداعب برذاذه البارد وجوه المارة... حين لمحتُ أضواء باهتة تغالب ظلمة البحر الممتدة ؛ قفز إلى ذاكرتي "مجدي" صديق الطفولة حين كنا نجلس على الكورنيش نمدُّ بصرنا في ظلمة البحر وأضواء الإسكندرية خلفنا ، وحين تلمع من بعيد أضواء خافتة وسط ظلمة البحر ينتفض قائلاً وهو يشير نحوها يكاد أن يقبضها بين أصابعه الصغيرة :

- **هل ترى أنوار أوروبا ؟ هي قريبة ، وعندما أكبر سأذهب إليها وأعيش هناك.**

حين كبرنا أدركت أنها لم تكن أضواء أوروبا ، لكنها أضواء السفن العابرة.

احتسيتُ رشفة ممتعة من فنجال القهوة الساخن... اغرورقت عيناي بدمعاتٍ حين تذكرت حادثة غرقه وهو يحاول الذهاب إلى أوروبا هربًا بجوف إحدى المراكب المكدَّسة بأجساد الحالمين... امتزجت بقهوتي ملوحة الدمعات المنسابة ، فارتشفتُ الرشفة الأخيرة مملوحة وأنا أتأمل تلك الأضواء المرتعشة في جوف ظلمة البحر.

مايو ٢٠١٥



الرحلـة

كان الباب موصدًا... دقَّ عليه دقاتٍ خفيفةً بأنامله الضعيفة... انفتح الباب ، غشيه نورٌ كثيف ، صارت الرؤيا ضبابية... مرَّ وأوصد خلفه الباب بقوة... حاول أن يعود خائفًا ، إلا أن الباب لا يفتح... وضع قدمه على أول السلم الطويل ، كان النور فى أعلى السلم كثيفًا جدًا لا يستطيع أن يرى ما خلفه ، وضع قدمه على الدرجة الأولى ... يجرى السلم به إلى اتجاه النور الكثيف ، يلمح مئات الوجوه تمضي أمام عينيه وملايين الكلمات ، أناس تلامسه وآخرون يبتسمون وأحدهم يبكي وآخر يمدُّ له يديه يستجديه...

كلما أوغل به السلم في اتجاه النور ؛ ازداد وقع خوفه... مضى وقتٌ طويل وهو لا يدرك أن السلم يستمر فى المسير وقد قارب على الوصول... يضعف النور رويدًا رويدًا... تتكشف له بعض من الملامح ، يبدو كبابٍ آخر... حين اختفى النور بدت له ملامح الباب ، أيقن أنه باب الخروج... تمزقت ملابسه... انفتح الباب ، وجد نفسه يهوي في بئرٍ عميقٍ تختلط عليه الأصوات... أيقن أن النور أعمى عينيه... تلاشت ملامح الأشياء في عقله ، وبقي ذلك الظلام في نهاية البئر العميق.

ديسمبر ٢٠١١



سكة سفر

نظرتْ إليَّ بعينيها الغائرتين في محجريهما ، ثم عادت لتنظر مليًّا إلى فنجال القهوة المقلوب وسرعان ما مدَّت يدها المكرمشة إليه وعدلته وأخذت تنظر فيه وتغلق عينيها قليلاً لتركز الرؤية على زاوية ما في الفنجال ، أسمع دقات قلبي تتابع عينيها بانغلاقها وتفتحاتها المتواترة ؛ رغم أني كنت لا أرغب إلا في أن أمزح مع صديقة جدتي القديمة...

فجأة فتحت عينيها على أخرهما حتى ظننتُ أنهما ستسقطان... نظرتْ ناحيتي وقالت :

- أمامك سكة سفر طويلة جدًا يا (ولد ولدي) ، لا تحاول أن تهرب من طريق السفر ، فلن تستطيع.

تبسمتُ ، وقلتُ لها مازحًا :

- أنا مسافر غدًا إلى القاهرة.

تبسمت ، وقالت :

- طريقك في السماء.

كانت السماء صافية وأنا أتابع ندف السحاب تمرُّ من جانب الطائرة وأتذكر تلك النظرة الأخيرة التي رمقتني بها جدتي "محسَبة" ، ولحظتها تمردتُ على الكثير من الأسئلة التي اقتحمتني فجأة :

- هل هي تلك السماء التي رأتها جدتي "محسَبة" في الفنجال قديمًا ؟

وعندما نظرتُ لوجهي في المرآة ذات صباحٍ أتابع المتبقي من سواده وكرمشات حفرتها السنوات التي مرَّت على جسدي ؛ تذكرتُ كلماتها لي ، فأدركتُ عن أي سماء كانت تتحدث.

أبريل ٢٠١٣

انـهـزام

(ساكنًا ما بين الحلم والخروج من مدارات التيه التي ظللتُ عالقًا بها ، محبوسًا في انحناءات الحروف ، أطوي مسافات الاغتراب ، تسمعني النايات أشجان الخروج من بوابات مدينتي الصغيرة... تتداخل الألوان ما بين سماءٍ زرقاء تخدشها رماديةُ سحاباتٍ حُبلى بالمطر ، وبحرٍ مفتونٍ بسفن تسافر فيه إلى مرافئ البِّعاد ولا تعود...

هذه بعض حروفي التي غزلتُها من حبر السكون الموحش الساكن جدران حجرتي الصغيرة العارية من كل شيء ؛ إلا من سريرٍ وخزانةٍ فارغة ، وأنا والوجع........................ فؤاد)

طوى الورقة وبعض دموع تملأ زوايا عينيه... تأمل الورقة من جديد ، تذكَّر تلك الابتسامة التي جمعتهما سويًا منذ سنواتٍ بعيدة ، يحاول أن يفك طلاسم السؤال الذي حيَّره منذ أن استقبل هذه القصاصة داخل مغلف ببريده ممهورة بتوقيع صديقه الذي غاب طويلاً حين قرَّر السفر لما وراء الحدود ، ورويدًا تاهت أخباره وطواه النسيان ، إلا قليلاً...

انزلقت تلك الدمعات المتدفقة ، كوَّنت بقعة على القصاصة، اتسعت رويدًا رويدًا وكأنها دوامة تبتلع الكلمات... حاول أن يمسحها حين خشي أن تضيع الكلمات... لكن الكلمات لم تتوقف عن الاختفاء وكأنها تتخطى حاجزًا لا مرئيًا لما وراء الوجود ، حتى صارت الورقة بيضاء متجعدة ولم يبق منها إلا اسم (فؤاد).

تلفَّت حوله ، فكانت غرفته خالية إلا من سرير يجلس عليه وخزانة فارغة !

نوفمبر ٢٠١٦



الطريق إلى النـهر

عاد إلى مدينته حنينًا...

تغرَّبت الوجوه... شدَّه الشوق إلى رحلته الطفولية القديمة إلى النهر ، يسبح حالمًا بالوصول إلى الضفة الأخرى... تزاحمت البنايات... ذاكرته تحاول أن ترسم الطريق إلى النهر ، تُلحُّ عليه تنبؤاته بتغييرات الشط ، تدفعه ذاكرته إلى السير في شوارع يحاول أن يتذكرها ، لكن يشعر بغربة تقسو على قلبه...

مضى نهارٌ وما زالت ذاكرته تبحث له عن خارطة الوصول إلى النهر... تشابكت البنايات ، فاختنق وكأنه في أنبوب ملتوية تنتهي عند بدايتها... تسرَّب إليه الحزن ، حادث نفسه ؛ هل تبدَّل الطريق ، أم أن ذاكرته مُحيت منها معالمه ؟

أنهكه الدوران... قرَّر العودة... معالم العودة تاهت... صار مذعورًا كفأرٍ يحاول الهروب من متاهة كبيرة... تملكه التعب... بجوار سورٍ عالٍ جلس وأسند رأسه على السور ليرتاح قليلاً...

في الصباح التالي تناقل الناس قصة ذلك الغريب الذي وُجِد ميتًا عند سور النهر !

ديسمبر ٢٠١٢



مـوعد

ينظر مبتسمًا وهو يرفع فنجال قهوته على الطاولة المقابلة لي... تراودني صورته عبر ذاكرتي المصابة بتشويشات العمر الستيني ، ثمة إحساس بأني أعرفه... تتسع مساحة ابتسامته وهو يضع فنجال قهوته على المنضدة ، لم أجد مفرًّا ؛ فبادلته الابتسامة ، تبعها هزة رأس متبادلة... تواترت مجموعة من السيناريوهات التي تلت تلك الإيماءات ، كم كانت رغبتي اليوم أن أبقى وحيدًا ، لا أريد لأحدٍ أن يقتحم عليَّ خلوتي وأنا أحتفل بعيد ميلادي الستيني... هل أفسدتُ يومي بتلك الإيماءة ؟ ولماذا لم أتجاهله ؟...

في حركةٍ لم أدرك تفاصيلها ؛ وجدته واقفًا أمامي ، يسحب الكرسي ليجلس ، ومازالت تلك الابتسامة عالقة بشفتيه... الدهشة تأكل حروفي ، لا يبقى منها إلا فراغ الصمت...

باغتني قائلاً :

- تأخرتَ عليَّ كثيراً.

غرابة الجملة لم تكن أقوى من غرابة دهشتي بصوته الذي أذكره جيدًا ، لكن لا أدري صوت مَنْ يكون ؟... أمسكتُ بلجام دهشتي ورددتُ عليه بصوتٍ حشرجته تواليات الاندهاش :

- و هل كان بيننا موعد ؟!
- كثيراً ما تواعدنا ، لكنك كنتَ لا تأتي.

أحاول أن أنعش ذاكرتي بصدمات الاعتصار لخلايا عقلي المنهك... ناديتُ على النادل علّي أستفيد ببضع دقائق أراجع فيها دفاتري القديمة التي أتربها الزمن الطويل... تفاديتُ أن أنظر إليه ، وعند اقتراب النادل شعرتُ برغبة في أن أغمض عيني لأرى بوضوح الصور المتواترة على ذهني ، وحين فتحتُها ؛ كان النادل يقف أمامي والكرسي المقابل فارغًا ساكنًا تحت الطاولة في مكانه المعتاد !..

تلفَّتُ حولي كطفلٍ سكنته دهشة الخوف ، لم يكن له أثرٌ في المكان ، وكأنه تبخَّر...

نحنحة النادل أفاقتني قليلاً ، فطلبتُ منه الحساب...

هل كنتُ أتوهم ، أم كنت أحلم ، أم أصابني خرف الستينات وانهزامية الجسد أمام سطوة الزمن ؟... تساؤلات ملحة لم تجد إجابات.

أشعر أني بحاجة إلى أن أضع على وجهي بعض الماء البارد لأفيق...

دخلتُ إلى الحمام وأغلقتُ الباب خلفي ، أسندتُ ظهري على الحائط المقابل للمرآة مغمضًا عينيَّ ، وحين فتحتهما كان وجهه انعكاسًا لي في المرأة.

ديسمبر ٢٠١٤



وجع الابتسام

يسمع همساتهم وتزوره أحلامهم حين يجلسون معه ليلقوا أحلامهم وآلامهم في حضن ابتسامته الحنانة ، ثم يغادرونه ليبقى وحيدًا بين جدران غرفته...

يُخرج من درج مكتبه وريقات يدوِّن بها آلامه... يغرق في فيض دموعه الموجوعة.

ديسمبر ٢٠١٤



ورقة أخيرة بيضاء

ضوء الأباجورة ينعكس على وجهه لتشكِّل تجاعيده ظلالاً داكنة تعكس أرقه في تلك الليلة الخريفية الباردة... لا يقاوم فيض الذكريات المتدفق في لحظة تأمله الضوء الباهت المنعكس على أرجاء الغرفة المتسعة...

يفتح درج مكتبه ليخرج أجندة يتغيَّر لونها في عشوائية الظلال المتغير مع حركته البطيئة حتى يضعها على المكتب ليبدو لونها أخضر بهتته سنوات الانتظار الطويلة داخل درج المكتب... عندما طوى الغلاف في ادعائه الاستكشاف بدت على الورقة الأولى الحروف زرقاء يافعة تشكِّل كلمات مكتوبة بخط أندلسي رشيق مرسوم بعناية (دفتر الأحلام) وتحتها كُتب بخط أصغر (أحلام ندركها وأحلام تدركنا)...

دفقة وجع تزيد وجهه كرمشة... قرَّر أن يمزِّق الأوراق التي سجَّل فيها أحلامه التي لم يحققها... ومع كل ورقة يمزقها ؛ تزداد تجاعيده عُمقًا ، وتملأ وديانها دمعاتٌ تنساب في صمت... وحين أدرك الورقة الأخيرة البيضاء ؛ كان لم يتبق من الأجندة إلاها...

تسرَّبت إلى قلبه مرارة وهو ينظر للأوراق المكرمشة والمبعثرة حوله تعافر الظلمة المشوبة ببعض خيوط ضوء الأباجورة الباهت ، وبعضها يحاول يستعيد استقامته...

نظر إلى تلك الورقة البيضاء الأخيرة... شعر بقُبلة دافئة على رأسه الأشيب أعادت لقلبه نبضات قديمة... التفت إليها فتعانقت عيناه مع نظرتها الحنانة... أمسكت القلم وكتبت على الورقة البيضاء (أحبك)...

أمسك بيدها المعروقة وقبَّلها بعد أن سرى في جسده خدر النبضات القديمة... مالت عليه ، عكس الضوء على شفتيها المتجعدتين نضارة

ابتسامة رائقة... نهض وهو ممسك بيدها فتساقطت من على حِجره بقايا الأوراق المكرمشة... تساندا متشابكي الأصابع حتى الشرفة ، تلسع أنفيهما نسمات الفجر الباردة... تلاصقا وفي عيونها دفء انتظار الشروق.

ديسمبر ٢٠١٤



مشهد

القمر بدرٌ يفترش ضوؤه امتداد الصحراء... بضع سحابات متناثرة شدها الشوق للتعانق فاستجدتْ الريح... هبَّتْ نسماتٌ باردة... تعانقت السحابات في اندماج تعشقي باسط على السماء... غاب ضوء القمر بين متاهات العناق... أظلمت الصحراء... ابتهلت الرمال... بكت السحابات فأمطرتْ... ابتلَّتْ وجنات الصحراء...

ابتسم القمر...

٢٠١٤



إدراك

(ما بين تلك اللحظة التي باتت فيها الآلام تسكن جسدي ، واللحظة التي أنتبه فيها لنهاية الطريق ؛ أشعر بأني أدرك النور الكامن في الحياة)

كانت تلك الكلمات هي أخر ما كتب على قصاصة ورقية اقتصَّها من واحدة من عِلب الأدوية المتراكمة على المنضدة الصغيرة بجوار سريره ، وجدتُها وأنا ألملم بقايا الأدوية...

كان ممسكًا بيدي يعصرها من قسوة الألم ، وفجأة ارتخت حين غادره الألم دون موعد...توهجت عيناه بصفاء كريستالي باسمتين للأفق البعيد خلف زجاج النافذة ، ثم أغمضهما.

قبَّلتُ رأسه المُندَّى بحبَّاتِ عرقٍ باردة... بلَّلتني الدموع المسكونة ببسمته الأخيرة.

حين رحل المشيِّعون يحملون في أحذيتهم غبار الصحراء ، تتساقط وراءهم على الطريق للمدينة بقايا ذكرياتهم معه ؛ أمسكتُ بقطعةِ حجرٍ بيضاء وحفرتُ على قبره :
(هُنا من أدرك النور الكامن في الحياة).

شعرتُ به يجلس خلف الجدار مبتسما ملوِّحًا لي ، وبعينيه شوق الانتظار.

نوفمبر ٢٠١٥



يتكشف

حملتُ ذلك الإحساس الغامض الذي ينتابني أحيانًا فيطرق قلبي بنبضاتٍ متسارعة... تتحلل الروح من أتربة الحياة ، تعصف الأفكار بذهني ، تتساقط الحروف أمطارًا بعيني...

لحظاتٍ ولفَّني سكونٌ مفاجئ ، شعرتُ كأنني شفَّافٌ كفراشةٍ تحوم بالمكان...

تعود بعض الأفكار تنبت بعقلي ، فكرة وراء فكرة ، وأنا أطاردها كطفلٍ يحاول الإمساك بالعصافير المحلِّقة بغُرفته الصغيرة... أمسك بالقلم وأضعه على الورقة علَّه يجتذب إحداها فأقبض عليها بلا رحمة وأسجنها في انحناءات الحروف... يبقى القلم ساكنًا ينْزف الحبر فيشكِّل بقعة زرقاء هلامية الأطراف...

أجول بنظري بين أرجاء المقهى ، أرتشف من كأس الماء المثلج بضع رشفات وأنا أتجول بنظري ، تتعالى أصوات الملاعق الطارقة على جدران الأكواب ، تعلو قليلاً أصوات موسيقى باهتة تقف على أعتاب الروح لا تخترقها... النوادل يتباسمون ليخبِّئوا إجهاد يوم عملٍ طويل...

ما من شيء يلهمني فكرة قصتي الأخيرة في كتابي الأخير... أبقى مقاوِمًا عصيان القلم ومراوغة الأفكار ، حتى ألتفت ناحية الطريق لأجد الجدار الزجاجي الملاصق لطاولتي يخبِّئ خلفه ظلمة باهتة تتداخل مع خيالات أُناس يتحركون مع انعكاس فنجال قهوتي الممتلئ حتى الآن... وفي لحظة خارجة من منطقية إدراك البدايات رأيت وجهي يتكشف رويدًا على الزجاج ، شعرتُ بالقلم يلحُّ علي وهو بين أصابعي... بعد بقعة الحبر الجافة كتبتُ : (أنا.....)

فبراير ٢٠١٦

الحالمون لا يموتون

- هل مات ؟
- كان واقفًا هنا ينتظر المركب لتحمله مع الراحلين.
- قالوا له ستأتي هنا عند الغروب ، وإن لم تأتِ فحتمًا ستأتي عند انتصاف الليل.
- ألم يدركها ؟
- أدرك الغروب وجلس ينتظر ، لكنها لم تأتِ.
- إذًا هو انتظر موعد المساء.
- نعم ، حينها عزفوا له موسيقى شهرزاد.
- نعم ، فقد كان يحبها.
- كان يحلم أن يعيش بطلاً لواحدة من تلك القصص التي قصَّتها شهرزاد قبل أن تصمت ، دون أن ندري هل ماتت وقتلها شهريار ؟ أم مازالت تحكي ؟.
- رأيته جالسًا بعد الغروب كأنه يوشوش البحر.
- نعم ، وأنا أيضًا ، حتى أني ألقيتُ عليه السلام فنظر لي مبتسمًا وأومأ برأسه وشفتاه تتحركان ، دون أن أسمع بماذا يتمتم.
- كنت أسمعه يحكي عن الموج يحمل معه حكايا المبحرين.
- رأيته في مراتٍ وكأنه مُنصت للموج وفي عينيه دموع ، حين سألته : ماذا بك ؟ قال لي : (غريقٌ تسكنه آلام الاغتراب مات هناك عند الشاطئ الآخر) ، ثم تركني ورحل.
- كان يقول لي ونحن بالمقهى : (إن الحكايات لا تموت ، حتى وإن مات أصحابها ضائعين في البحر ، فالموج يحييها ويوشوش بها للمنصتين).
- رغم كل ذلك كان هنا ينتظر المركب لتحمله للشاطئ الآخر.

- كان يحلم بالعودة
- العودة ؟! قبل أن يحلم بالرحيل.
- الرحيل حتميٌّ مدفوعٌ بقسوة البقاء ، لكن العودة اختيار مدفوع بالعشق والحنين.
- رحل مع منتصف الليل ؟
- لا لم يرحل ، كنتُ هنا حين جاءت المركب ولم يكن موجودًا... هو لم يرحل.
- نعم ، أشمُّ رائحته باقية في المكان.
- أين ذهب ؟
- ربما عاد لبيته.
- باع كل شيء قبل اليوم ، لم يبقَ له إلا حقيبته وأوراقه.
- أتظنه جُنَّ ورحل عائمًا ؟
- أنت من جُنَّ... لا يقدر أحدهم على الذهاب لهناك عائمًا.
- انظروا ، تلك ورقة من أوراقه ملقاة على الشاطئ.
- كتب فيها : (البقاء موت والرحيل موت ، لكن العودة اختيار للحياة).
- هل لابد أن نرحل كي نختار العودة ؟
- أظنه سيعود قريبًا.
- لا... لن يعود.
- علَّه غرق ومات.
- الحالمون لا يموتون يا أصدقائي.

سبتمبر ٢٠١٦



بُقعة ضوء

البحرُ ممتدٌ أمامي تناديني موجاته... أمدُّ قدمي مسحورًا ، أسير دون أن أدرك أن الأرض تختفي من تحتي ، لم أدرك أني لا أجيد العوم... حاولت أن أعود ، كان الماء قد ملأ جسدي... الشطُّ بعيد... تركتها هناك على الشطِّ تلوِّن حروفها بانتظاري ، تبتسم ؛ وتخالط البسمة دموع الانتظار.

مئات الأحجار تمتدُّ سلاسلها إلى قدمي ، تخترق جلدي وعظامي مسامير تحفرها ، تشدُّني إلى القاع... تحوم حولي أسماك القرش الجائعة... وأنا أحاول مقاومة ذلك التيار الذي يشدني لأعماق البحر... تغشاني ظلمة القاع ، أتلمس نقطة ضوء تبدو من بعيد... أحاول أن أتخلص من تلك السلاسل... شعرتُ بجسدي ينسحق تحت أطنان المياه التي تحيطني ، أتألم ؛ فتخرج فقاعات الهواء من صدري تحمل وجعي إلى سطح البحر.

الألم يشتدُّ ، وبقعة الضوء تكبر قليلاً ، هل تراها الخلاص ؟. تزداد البقعة البيضاء ، تكبر ، تكبر... وأنا مشدوه.........

(فتح عينيه... تبسَّم... ثم غادرنا..............)

٢٠١٥



سحـابـة

بدَتْ أحلامي كقوس قزح ، حينها أدركتُ أن هناك نورًا يختبئ خلف ظلمة الليل الذي طال... فوق السحاب صوت أزيز يرعشني ، همهمات أشبه بوشوشة الصمت...

تحلّق في قلبي مشاعر غرائبية... ألملم من دفتري كلماتي الرصاصية التي ما زالت تملك بريقًا خافتًا من مشاعر قديمة... أحدّق في أضواءٍ تبزغ من عُمق العتمة الممتدة...

لمحتُ ذلك السطر الأخير مما كتبتُ :

(الحلم طريق للخروج من عتمة البقاء في ثبات المدرك من أحلام الصبا حين كانت تلون السماء بسجاياها الزرقاء وتسكننا في قلب الأرض بذور تتفتح لتُورق على أفرع الأمس قناديل اليوم لنرى كيف يمكن أن نكون في الغد ، فنتمسك بتلك الشعاعات الخفيفة القادمة من عمق العتمة ونشدها ، ولا ندري هل نحن من نقترب أم هي التي تقترب ؟).

كان ثمة سحابة تقترب تحبل بضوءٍ خفي في منتصفها يكبر رويدًا رويدًا ، وكأن السحابة تدنو مني... شعرتُ بالخوف ، لملمتُ دفتري وأمسكتُ بقلمي وكأنني سأحارب به شبحًا يختبئ في تلك السحابة... فجأة أبرقتْ وأرعدتْ ، وسرعان ما أمطرتْ... هربتُ ودخلتُ حجرتي وقلبي ينتفض...

ألقيتُ جسدي على فراشي الرَّث ، نِمتُ وصوت نقرات المطر على زجاج نافذتي يطاردني...

في الصباح ، وحين تسلل نور الشمس لحجرتي ؛ نظرتُ من النافذة ، لمحتُ تلك السحابة معلّقة فوق نافذتي ، ومازال بها بريق ذلك الضوء.

مارس ٢٠١٦



السـراب

صحراء... شمس... غيوم متناثرة لا تقوى على سطوة الشمس... رمال ساخنة... وجه غارق في خيوط العرق... جسد منحن من الإعياء... عينان زائغتان... قدمان حافيتان تلسعهما سخونة الرمال الحارقة...... جلد متقيح...

حرَّك رأسه يمينًا ويسارًا باحثًا بنظرات زائغة... يرتقي تبَّة رمال عالية ، تنغرس قدماه في الرمال الساخنة ، يصعد خطوتين وتأخذه الرمال خطوة للوراء ، عضلاته المنهكة تحاول المقاومة... عند قمة التبة الرملية لاحت له الواحة من بعيد ، شواشي النخل تداعب عينيه تحت أشعة الشمس الساطعة... خفق قلبه بشدة ، تسللت إلى أوصاله قوة الخلاص ، تدحرج على الرمال ساقطًا إلى أسفل التبَّة الرملية تخرج منه صرخات فرح... يعتدل ، يجرى في اتجاهها ، تتعلق عيناه بأوراق النخل المتمايلة مع دقات قلبه... يقترب... تعلو في أذنيه أصوات المياه ، تدفعه آلام التيه فتزداد قدراته على القفز...

وعندما كان يقفز في الهواء والفرحة تملأ قلبه وتنساب السعادة من بين نظراته المتعلقة بالواحة ؛ شعر بشيءٍ ينغرس بصدره ، وجع يخترق قلبه...لمح أحدهم يعتلي قمة نخلة وبيده القوس...

سقط... حاول نزع السهم المنغرس بصدره... تألم ، هزته صرخة ألم... مدَّ يديه إلى الواحة الدانية... ملأت عينيه نظرات تساؤل... حاول أن يقاوم ... سقط جفناه ، انغرس وجهه في الرمال الساخنة ، انساب خيطٌ من الدماء القاني يلوِّن الرمال... ملأت عينيه مساحة الظلام.......

نوفمبر ٢٠١٠



الشـريدان

شتاء القاهرة... برودة بيوتها الصامتة... ضباب يتكون فوق أجنحة الصباح...

يخترق البرد عظامها المتكشف من تحت ثوبها الممزق ، تدفن رأسها متكورة بين قدميها ، تبحث بين أنفاسها عن بعض من الدفء... تتكور بين جفنيها دمعتان تقاومان لحظات الصمت المطبق على المكان ؛ إلا من بعض أصوات عجلات السيارات المارَّة بسرعة فوق الكوبري...

تتصاعد أبخرة الضباب فوق صفحة النيل ، بعض الأضواء تقاوم لحظة خروج الشمس وتعلن عن نفسها...

نظرتْ إلى الأوراق المبعثرة بين يديها ، وبحثت عن قلمها ، أطبقت عليه بين يديها...

- هل ستكتبين ؟

رفعت رأسها عندما ارتعشت أنفاسها بصوته المخترق لقلبها... كان باسقًا كالنخيل ، ممزَّق الثياب ، منكوش الشعر ، متطايرة شعيرات ذقنه الكثة بلا انتظام... التمعت أمام عينيها ابتسامته.

- أكتبك سيدي.
- وكيف ستكتبين من جفت على أوتارهم أغاني العشق ؟
- أرسم عينيك فوق الأوراق فينفجر من بينهما مئات الكلمات وألوف العبارات ، ولكن تبقى كلمة واحدة تصمت على شفتي.
- شريدٌ بلا جاه ولا مال.
- يبقيني قلبك قاسية على الموت.
- تتوه من بين قدميَّ الطريق ، فهل ستحملين عيني المسملتين بالحزن على يديك الموغلتين بعمق أحزانهما ؟

- سيدي ، هات بين يدي عينيك ،احملني بين دمعاتك أملاً في الغد الآتي على صهوة انتظارنا سيدي.
- سيدتي ، يأكلني الحزن.
- هو آكلي ، ولكن يبقى مني قلبي ، فهو أقوى من أن تلوكه الأحزان بين شدقيها.
- اكتبي سيدتي من أنتِ ؟
- أنا ؟... من أنتَ ؟
- أنا ؟
- نعم ، مَنْ أنتَ ، لأقول لكَ مَن أنا ؟...
- بيننا سؤال يتردد سيدتي.
- لا تتردد ، تكلم سيدي ، أنا وأنت شريدان يحملان بين حزنيهما بقايا قلبين مملوءين بالحزن.
- الأمل.
- أين سيدي يكون ؟
- هو بين عينيكِ.
- مسملتان بدموع حزني.
- هما كعينيَّ إذًا.
- نعم.

يمدُّ يديه... يمسك بيديها... يلملمان الأوراق المبعثرة... يرسمان بسمةً صغيرة على شفتيهما... يحتويها بين ذراعيه العاريتين... يشعران بقليل من الدفء يتسلل بين خلاياهما... تدفن رأسها بين يديه... تتطاير قطع الثوب الممزق مع تطايرات النسيم الباردة...

كانت أضواء المصابيح قد بدأت تنْزوي بين أشعة الشمس الطالَّة من خلف البنايات... تتزايد عجلات السيارات المسرعة.

يوليو ٢٠٠٨



الـوحمـة

انحسر شعره وبدأت تظهر رأسه عارية ، كانت بها دائرة بُنية كبيرة واضحة تظهر عندما كان يحلق شعره ويداريها بطاقية أبيه... نظر إليها في المرآة ، كيف سيداريها ؟... وهداه تفكيره إلى ارتداء الباروكة... خاف وتراجع عن فكرة الباروكة فالكثير يعلمون أن شعره تساقط ، وسيصبح مثارًا لسخرية الآخرين... وعندها وجد ضالته ؛ أن يرتدي طاقية حديثة...

ظلَّ حبيس بيته حتى جاء صديقه بها... ارتداها... وفي يومه الأول ؛ نزل إلى الشارع وهو ينظر في عيون الناس كأنه يدرك أنهم يرون الوحمة الكبيرة برأسه... رويدًا بدأت تملأ الثقة قلبه ، اختفت ولن يراها أحد ، وعقد نيته على ألا يخلع الطاقية أبدًا أمام الآخرين.

وفي إحدى الصباحات الشتوية الباردة العاصفة ؛ هبَّتْ عاصفة شديدة ، دون أن يشعر ؛ تطايرت الطاقية من على رأسه... توقف... عيون الآخرين تنظر إلى تلك الوحمة الكبيرة في رأسه ، منهم من ابتسم ومضى ، منهم من ضحك بصوتٍ عالٍ ، منهم من تأفف من منظر الوحمة... وبدأ أحدهم يشير للآخر على رأسه... دار حول نفسه ودموع تبلِّل وجنتيه ، شعر وكأنه وقف عاريًا وسط الطريق... حاول أن يداريها بيديه ، لكن كانت الوحمة أكبر من أن تداريها يداه... أطلق ساقه للريح ، وضحكات الآخرين تطارد أذنيه...

دخل إلى شقته مسرعًا... نظر إلى المرآة ، لمح عينيه تنظر إليه بسخرية ، كان يتمنى أن يزيل هذه الوحمة... شعر بغضب... سمع أحدهم يناديه "أبو وحمة"... ملأه الغضب ، تصاعدت دقات قلبه...

وفي لحظة جنون صدم رأسه بالمرآة... تطاير الدم على جدران الحجرة البيضاء ، انسال بُقعًا وخيوطا... سقط...

تطايرت بين ألسنة الناس جثة "أبو وحمة" التي لم يكتشفوها إلا بعد أيام من اختبائه في البيت... كانوا يتحسرون عليه وهم يحاولون مداراة وحماتهم أمام المرايا.

أغسطس ٢٠٠٩



أول لمسـة

يمتدُّ أمامه كوبري "٦ أكتوبر" بزحامه الزاحف... الشمس تُغرق سماء القاهرة بحمرتها الشفقية... غبار العابرين لميدان "رمسيس" ينتثر بين نسمات الهواء الربيعية... عشرات الأبراج تمتد أمام عينيه عندما دنا من ميدان "عبد المنعم رياض" ، يشعر بها أصابع شريرة تحاول أن تقبض على نهر النيل وتمنع عنه جمال العِناق الأبدي الذي كان يداوم بينه وبين حبيبته شمس المغيب... تزكمه رائحة الميدان بخلطتها الغريبة... يغلق زجاج سيارته... تختفى خلف الزجاج المغلق أصوات أبواق المتململين وغبارات الضاربين الأرض بعنف السخط على قسوة المدينة التي يعيشونها... يبقى صوت أنفاسه المتسارعة في نبضٍ مختنق... كلما اقترب الزحف إلى منحنى المهندسين تتصاعد وتيرة نبض القلب... تزعجه نبضات قلبه فيمدُّ أصابعه المعروقة يشغِّل الكاسيت ، فيخترقه بنعومته الرقراقة صوت "محمد منير" يغنِّي (يا بنت يا أم المريلة كحلي)... تحلِّق على شفتيه ابتسامة تعيد لجلده المكرمش نعومة الماضي وتسحب من عينيه دمعة سعادة مسحوبة من ركن ذاكرته...

رسمت عيناه وجهها على وجوه كل العابرين للطريق أمامه بعدما صار في شارع "البطل أحمد عبد العزيز"... عاد إليه طعم قُبلته الأولى التي نقشها بتحنان على جبينها العريض حين التقاها للمرة الأولى... نظرت إلى عينيه الغارقتين في دمعاتها ، لمح بين نظراتها شلال حنان يغرقه... قبَّلت كفيه واحتضنتهما بقوة حنونة ، ضمها بين ذراعيه ، خبَّأتْ رأسها في صدره ، بللَّت طرحتها الخضراء دمعتان.

ساعات الشتاء كان يجلس بين سحابات الليل الشتوي الرقيق ويحتسي كوب النسكافيه السادة كما كانا يحبان أن يحتسياه معًا ، يرسم على السماء لون إحساس غاب عنه كثيراً وسؤال يلح عليه : ما هو ذاك

الإحساس الذي يتملكه لذلك الحب الذي ملأ حياته ومسح على روحه مسحةً ملائكيةً أزالت عنها غبار الأيام المنهكة وأجلَتْ الصدأ الذي ران على قلبه ليعود لامعًا بلمعة الماس ينطق على الأوراق مئات الكلمات ؟...

يكتب ويكتب ويكتب ، يستعيد شباب كلماته ، يحاول أن يفكَّ طلاسم إحساس ذابت فيه كل الأحاسيس النقية التي يحياها إنسان ، وكأنه قد ملك الدنيا وما فيها...

عندها ضبط عينيه في المرآة غارقةً في دموعها... مسح دمعاته ونظر إلى المرآة يلمح بقايا شعره الأبيض تتناثر على رأسه الأصلع ، حاول أن يرَّتبها بأصابعه المرتعشة... تداعت إلى ذاكرته يوم أن كانت ترفل في ثوبها الأبيض القشيب وطرحتها البيضاء الناصعة وسعادة تملأها وترسم على وجهها بسمات الفرحة ، تمسك بيد عريسها باهتة العينين... توقف خلف ستارة الباب الكبير للقاعة ، تلونت عيناه بدمعات وارتسمت على شفتيه ابتسامة... استدار... رحل إلى خارج الفندق ، يطوي بقدميه غبار رصيف الكورنيش ، ومصابيح أعمدة الإنارة تنْزوي أضواؤها رويدًا رويدًا... وحين لاحت الشمس للشروق ألقى بجسده على سريره وأغمض عينيه على صورتها وهي تبتسم...

ملأته الابتسامة وهو ينظر عبر زجاج السيارة إلى البيت الصغير... يتوقف بسيارته تحت شجرة البوانسيانا التي تمتد فروعها بطول سور البيت الصغير ، هو أهداها تلك الشجرة منذ سنوات طويلة... حاول أن يختبئ تحت نظارته الشمسية الكبيرة خلف سور الحديقة الصغيرة تلهو مع حفيدها ، يهرول وتهرول خلفه ، يضحك ؛ تضحك يملأ قلبها ، يخترقه صوت ضحكتها الرقيقة... يضحك... صوت خشن ينادي من خلف الباب :

- هشام

انتفضتْ...

لمح زوجها يدلف إلى الحديقة ، هرول ناحية حفيده الذي يقفز ضاحكًا... تسير إليه تملأ وجهها ابتسامتها الطفولية الرقراقة... يحتضنها ، يقبِّل جبينها ، تتشابك أصابعهما ، يغيبان خلف باب البيت الصغير...

هزَّته رعشة غريبة ، أعقبها دمعة ، وغمره شلالُ سعادة ، انتفض وكأنه عائد للحياة...

أدار محرك سيارته واتجه من جديد إلى كوبري "٦ أكتوبر" عائدًا ، ليعود صوت منير يملأ الكون من حوله:

نوفمبر ٢٠١٠



المؤلف في سطور

- شريف مصطفى محمد
- قاص مصري من مواليد ١٩٧٠م
- عضو نادي الأدب بمغاغة
- عضو لجنة تحكيم مسابقة الشيخ محمد بن خالد آل نهيان للإبداع الأدبي
- عضو لجنة تحكيم جائزة شما محمد للأدب

- صـدر له :

- تراتيل الرسوم الجدارية : قصص قصيرة. شمس للنّشر والإعلام ، ٢٠١٥م.
- هذيان لحظة الميلاد : قصص قصيرة ، ٢٠١٦
- صندوق المرايا : قصص قصيرة. شمس للنّشر والإعلام ، ٢٠١٨م.

- البريد الإلكتروني : Sherif_1970@hotmail.com

الفهرست



Tel :(+2) 01288890065

www.shams-group.net